

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(124) إلى أميِّين لا عهد لهم بالتعلم، فكان الجهل أول طوق يجب أن يكسر، وكان الجمود الفكري أول حاجز يجب أن يتجاوز، وكان التفوق على الأوهام أول ما يجب التحرر منه، فكانت البداية هذا الافتتاح الرفيع الذي يتناسب مع هذه الثورة الجديدة، إنها الدعوة الفطرية إلى الايمان والعلم بعرض واحد، فهو إرهاب إيمان سينتشر، وإشعار بإفاضات علمية ستضيء، مصدرها □ تعالى، وأدائها العلم، لارتداد المجهول واكتشاف المكنون (1). وتداعت قريش إلى افتراضات متناقضة تجاه القرآن، وضلّت في متاهات حائرة من أمره، فقالوا: أضغاث أحلام، وقد أيقنوا بصحوة النبي ويقطته، وعزوه إلى الكذب والاختلاق، وقد وصفوه هم أنفسهم بالصادق الامين، ونسبوه إلى الشعر، وقد علموا أن النبي صلى □ عليه وآله وسلم أبعد ما يكون عن مزاج الشاعر وأخيلته، وما استقامت لهم الدعوى بشيء، فوصموه بسلاح العاجر، وقالوا أنه مجنون، قال تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ *) (2). وقد دلت الأحداث الاستقرائية، والسيرة التجريبية للنبي صلى □ عليه وآله وسلم على راحة عقله، وإتزانه الدقيق في تصرفاته كافة، فرددوا قول الكهانة والجنون فرد إفتراءهم القرآن: (فَذَكَرَ رَسُولٌ فَأَمَّا أَنْتَ بِرَبِّكَ أَهِنٌ وَلَا مَجْنُونٌ *) (3) وتمسكوا بأوهن من بيت العنكبوت، فأشاعوا بكل غباء أن لمحمد صلى □ عليه وآله وسلم معلماً من البشر، وهو غلام رومي يمتنهن صناعة السيوف بمكة، ولا يعرف العربية فردهم القرآن رداً بديهياً حاسماً، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولٌ نَحْنُ بِكَ نَحْنُ يَقُولُونَ إِنَّكَ لَمَّا يُعَلِّمُهُمْ بِشَرِّ لِسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٍّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ *) (4). وحينما أعيتهم الحيلة، ووقف بهم المنطق السليم، وتداعت الأوهام المتناثرة هنا وهناك إنطلقوا إلى القول: (إِنَّ هَذَا إِلَّا لَأَسْحَرٌ يُؤْثَرُ) (5)، وما كان _____ (1) ط: المؤلف، تأريخ القرآن: 38. (2) الحجر: 6. (3) الطور: 29. (4) النحل: 103. (5) المدثر: 24.